الأرض المقدسة

بقلم / لمياء السعيد عبد السلام

مر أربعون عاما دخلت إلي ذلك المنزل القديم أشارت لي السيدة إلى غرفة منعزلة بطرف المنزل كأنها بكوكب أخر شبه مظلمة معزولة عن العالم تماماً , ووجدته جالسًا على كرسي بزاوية في الغرفة له خيال على الحائط لاتفرق بينهم باهت اللون كأنه شبح.

-السلام عليك

-وعليك السلام أخيراً أتيتِ ؟.

-جئت بناء على طلبك يا ياسين.

-وستحكي لي اليوم ماذا حدث منذ أربعون عامًا ؟

-أرسلت في طلبك لذلك اجلسي من فضلك

-نظرت حولي فلم أر كرسيًا لأجلس عليه فلم يعد نظري يساعدني كثيراً ، لاحظ حيرتي وبحثي فوقف ومشى بضع خطوات وكبس على مفتاح النور أضاءت الغرفة ووقع نظري على شبح ملآ الشيب رأسه وازداد نحولا وملأت التجاعيد وجهه كأنه تخطى المائة عام .

رأيت مقعد فجلست عليه.

- أدار كرسيه قائلًا : لقد تغير شكلي أليس كذلك؟

أجبت مضي العمر بكلانا .

-أنتِ لم تتغيرين كثيرًا

-نظرْت إليه بحدة قائلة : لم أقطع هذه المسافة لنسترجع الذكريات .

-لي سؤال واحد سألته لك ألف مرة ولم تجب و إياك أن تقول ما قلته في الماضي أن زوجي مات زوجي ، لم يمت يا ياسين وأنت تعرف ذلك أين زوجي ؟ اين هو؟ و دمعت عيناها ..

-سأطلب منك طلبًا و احدًا أولاً وبعدها سأحكي لكِ ما حدث .

-ماذا تريد؟

orbeikan.com

-سامحيني فقد تمكن منّي المرض اللعين و اقترب الرحيل وضميري يؤنبني لن أستطيع أن أعيش باقي أيامي دون مسامحتك .
- تطلب الأن السماح بهذه البساطة , تريدني أن أمحو عذاب أربعون عامًا وأسامحك لترقد في سلام هذا مستحيل سأدعو لك أن يطل الله في عمرك حتى يستمر عذابك و إن مت تدخل جهنم .
همت بالوقوف هاتفة بحنق : أنت أناني وستظل كذلك .
-اجلسي أرجوكِ لم أرسل إليكِ لطلب السماح فقط و لو كنت أستطيع لا تيت إليكِ ببيتك و قبلت قدميكِ لتسامحيني ولكني ارسلت إليكِ لأروي لكِ ما حدث كاملًا ولكِ الحكم تسامحيني أو لا هذا قرارَكِ.
- لماذا لم تحكِ من أربعون عاما .
-أنا مجرد حَفّار قبور عامل مسكين أحفر القبور و أخرج المساخيط ،إن كنت تكلمت لاتهموني بالجنون مثلما.. و سكت.
-مثلما اتهموني أليس كذلك ؟ خفت على نفسك وتركتهم يودعوني بمستشفي الأمراض النفسية؟
- أنا عامل بسيط ماذا كنت سأفعل كيف كنت سأعيش من سيرضى بعامل مجنون حَفّار قبور ألا تفهمين ؟؟ أنا فقير ..اليوم الذي أجلس فيه بالبيت لا أجد قوت يومي لست مثلكم,
دخلت السيدة تحمل أكواب العصير.
- قال لها اشربي واهدئي وسأحكي لكِ ما حدث كاملًا من يوم رأيتك أنتِ وزوجك للمرة الأولى و حتى يوم اختفاءه.
رجع بظهره إلى الوراء ورفع رأسه وقد تصبب وجهه عرقًا ثم قال متابعا
-أتذكرين أول يوم عندما أتيتِ إلى بلدنا يا دكتورة كنتِ أنتِ وزوجك دكتور أحمد قد اتيتم للتنقيب بالموقع الجديد وكنا نقف صفًا لبدء العمل أنا وغيري من العمال.
-وقال دكتور أحمد سندرس الموقع فقط و أشار لنا بالذهاب للراحة حتي ينتهي من عملة من يومها أحببته فقد عاملنا كبشر ولم يتركنا بالشمس مثلما يفعل غيره

من الباحثين .
- أنت محق زوجي طيب القلب رقيق المشاعر وقد أحَب عمله جدًا .
- بدأنا الحفر و يومًا بعد يوم ظهرت أثار بيوت الفراعنة القديمة ولكنها مختلفة عن البيوت التي حفرناها من قبل كانت غريبة ومليئة بالممرات والحجرات الصغيرة جدًا والفراعنة كانوا كبار كيف يسكنون هذه الغرف الصغيرة لم نكن نفهم شيء كنا نحفر وننظف فقط لا غير ،حتي سمعت دكتور أحمد وهو يتحدث إلى زميله دكتور عمار عن ضيّق المكان وغرابة معماره ولكني لم اشاركهم الكلام لم يكن من حقنا الكلام نحن نسمع ونطيع فقط .
مرت الأيام وكل يوم تزداد الحيرة من هذا العمران الغريب كأنه متاهة .
-لدرجة أنكِ لو وقفتي منها عاليا لتهتِ داخلها و اختلف نظرك و احتار و في تلك الأيام أنجبت زوجتي ولَدي الثاني وكانت تقيم ببيت والدها بعيدا عن بلدنا ولم أكن أترك الموقع إلا يوم الخميس لأذهب إليهم و أطمئن عليهم وباقي الإسبوع ابقى بالموقع مع الخفر الموجود بالموقع .
وذات ليلة جاء زوجكِ إلى ودار الحوار التالي :
-يا ياسين أريد أن أسألك سؤالًا .
-اسأل يا دكتور أنا تحت أمرك .
-هل رأيت مثل هذا العمران من قبل؟
- أجبت لا يا سيدي هذه المرة الأولى التي أرى هذا الشكل .
-منذ متى و أنت تعمل بحفر المواقع ؟
- منذ أن كنت صغيرًا بالسادسة من عمري كنت أتي مع أبي حتى اليوم
حسناً شكراً لك يا ياسين و ربت على كتفي و انصرف .
أمضيت تلك الليلة و أنا أفكر ما قد يكون ذلك ؟ فنحن لم نجد كلمة واحدة ولا أنية ولا أي شيء يدل على هوية هذا المبنى .
استمر عملنا في صباح اليوم التالي ولكن ذلك اليوم وجدنا ثلاثة أبواب كل باب مكتوب عليه بضع كلمات بالهيروغليفية ذهب أحد العمال إلى دكتور أحمد واستدعاه وجاء مسرعًا وقرأ الكلمات ووقف يفكر كثيراً حتى جاء المغرب وقد

أوشك العمال على الانصراف ، ذهب إليه كبير العمال لاستئذانه للانصراف وعندما كلّمه الرجل كأنه انتشله من تفكير عميق .

-نظَرَ إليه بعينين شاردتين قائلاً :حسنًا يمكنكم الانصراف .

-وعاد ينظر للأبواب مرة أخرى بقى هكذا حتى أظلم الليل ولم يعد يرى شيئًا .

نادى على أحد العمال لإحضار فانوس للإضاءة ، ذهبت أنا به وجدته شارد الذهن يفكر ويحاول أن يرى الكلمات ويدونها بدفتره الاصفر أتذكرين ذلك الدفتر؟

- نعم لم يكن يفارقه واختفى معه لم أجده في مقتنياته التي سلموها لي وانهمرت الدموع من عينها التى لا يوقفها الا بعض تلك التجاعيد التي ظهرت بوجهها

- ناولها منديلًا قائلًا : أسف لتقليب الذكريات عليك .

-مسحت دموعها متظاهرة بالتماسك قائلة : -لا عليك، أكمل ماذا حدث بعد ذلك ؟

-وقفت إلى جواره حاملًا له الفانوس وهو يقرأ ويتمتم بكلمات غير مفهومة وأخيرًا انتبه إليّ قائلًا يا ياسين إن كان أمامك ثلاثة أشياء ومحتار بينهم أي جهة ستختار اولًا؟

-سأبدأ باليمين يا بيه .

-اذًا هو اليمين هات لي أجَنَة وشاكوش بسرعة .

-أسرعت إلى مكان المعدات و أحضرتهم متسائلاً أين تريد أن أحفر ؟

-عند تلك الزاوية في الباب الأيمن

- بدأت الحفر و أحسست أن الأرض تحركت بنا رجعت إلى الوراء خائفًا ورجع معي الدكتور صعدنا على سور صغير وفجأة خرجت نار عظيمة من هذا الباب ـضاءت الدنيا حولنا ولكن سرعان ما تراجعت ثانية وكأنها ألعاب نارية حمدنا الله ، وقال الدكتور : لو ما تراجعنا لأصبحنا رمادًا الأن .

-قلت له: نرجع يا دكتور

- لو كنت تعبت اذهب أنت ونام أما أنا سأبقى حتي أحل هذا اللغز

-اذًا سأبقى معك .

-تقدمنا للأمام في حذر ولاحظ الدكتور وجود كلمات ظهرت مكان الباب الأول .

- هكذا اكتمل الأمر الباب لا يفتح إلا بعد قراءة التعويذة كاملة ابتسم والتفت لي يبدو يا ياسين أننا سنكتشف اليوم مقبرة كبيرة قد تكون مقبرة أحد الملوك فكل هذه الاحتياطات تدل أننا أمام اكتشافٍ عظيم .

اقتربنا من الباب الثاني وقال لي أنت اخترت النار سأختار أنا هذه المرة وضحكنا قال انا أختار الباب الأوسط هيا بنا ولنكن حذرين أنا سأقرأ التعويذة وأنت احفر برفق وسرعة وفعلًا وقف بعيدا وبدأ يقرأ و أنا أحفر حتى تحركت الأرض ثانية ، قفزت أنا عاليًا وإذا بالأرض تهوى من تحت أقدامنا هوة سحيقة كأنها بئر.

- قاطعته قائلة : هذه البئر التي قلت أن زوجي وقع بها واختفى تحت الرمال أليس كذلك ؟

- نعم يا سيدتي ولكنه كان يقف بعيدا وأنا من وقع في الحفرة ورأني الخفر ومن شدة الظلام والموقف اعتقدوا أنه الدكتور وذهبوا ليحضروا المساعدة فقد خافوا من الإقتراب كانت الرمال تتحرك كأنها دوامة بقلب البحر .

ولكني تمسكت وأخذ الدكتور بيدي وأخرجني من الحفرة بصعوبة بالغة وعندما خرجت اعتذر لي .

- قائلا : أسف أنا من ورطك بهذا كان من الممكن أن تموت الأن.

وهدأت الأمور سريعا ولكنها تركت الهوة كما هي وظهرت الكتابة ثانيا .

-وقال الدكتورسنكمل بالنهار ولكني سأدوّن هذه الكلمات بدفتري حتى لا تضيع لا نعلم ما سيحدث بالصباح؟

كان قد اهلكني التعب والخوف فجلست أستريح قليلًا وأراقبه وهو يعمل ويكتب و يردد ما يكتب لم أفهم شيئًا مما كان يقول .

وفجأة فُتح الباب الثالث من دون أن يقترب أحدنا منه فُتح وحده ناديت « عد يا دكتور رجع إلى الخلف سريعًا وفتح الباب وظهرنور شديد البياض من الداخل أعمي أبصارنا.

لحظات مرت كأنها ساعات وانقشع الضوء وظهر رجل ، كاد قلبي أن يتوقف , إن الرجل حتى لم أكن أعلم إن كان حقيقيا أو تخاريف السهر وما حدث في تلك الليلة كان صعب التصديق.

وقف الدكتور ونظر إليّ بذهول مثلي تمامًا ولم تخرج كلمة من أي منا فقط تبادلنا النظرات و قطع صمتنا وحيرتنا الرجل فقد تكلم وفي هذه اللحظة أيقنت أنه حقيقة وليس خيال قال موجهًا كلامه للدكتور لماذا تريد أن تدخل
(الارض المقدسة) أوشكت قلوبنا على التوقف من شدة الخوف وتماسك الدكتور قليلًا مجيباً : وماهي الأرض المقدسة ؟
-رد هذا الرجل : أطلانتس.
وقبل أن يتكلم أحدنا سحبنَا الرجل بيده إلى الداخل .
-وهنا قاطعته هاتفة «اطلانتس ؟؟ القارة الغارقة أجننت أنت؟
أجاب ياسين صبرًا سيدتي ما حدث بعد ذلك هو ما لا يصدق لكي تعرفي فقط لماذا سكت كل هذه السنوات و استكمل قائلًا : دخلنا إلى الداخل رغمًا عنا وعندما نظرت حولي وجدت العجائب وجدت المكان ملئ بالشاشات الكبيرة نعم مثل شاشات العرض بالسينما ووجدت الكثير من الأجهزة حولي كأننا دخلنا إلى معمل كبير ولكن ليس معمل مثل تلك المعامل التي كانت موجودة منذ أربعون عاما إنما معامل مثل التي موجودة الأن ، نعم حتي أنني اعتقدت أنها مزحه أو أنه معمل خاص بالمخابرات ولكن توقفت كل أفكاري عندما نظرت إلى السماء أو السقف هنا هربت كل أفكاري فقد وجدت أننا تحت سطح البحر ، نعم الأسماك من حولنا في كل مكان .
وكأننا في حوض زجاجيّ التفتّ إلى الدكتور وجدته ينظر حوله بانبهار لا يقل عن انبهاري فهمست له أن ينظر للأعلي فنظر وكانت دهشته عظيمة وقد تكلم وقال ما هذا ؟ أي مزحه هذه ؟من أنتم؟ رد الرجل الذي أدخلنا وقال سنجيب على كل أسئلتك ولكن اجلسوا اولًا ، جلسنا ونحن نراقب كل ما حولنا بذهول جلس الرجل أمامنا وقال أولا من أنتم؟
-أنا الدكتور أحمد باحث في التاريخ الفرعونيّ ومستكشف للآثار وهذا ياسين يعمل معي بالتنقيب .
عرفنا عن أنفسنا إذًا من أنتم ؟

-الرجل : أنا الكاهن الأعظم .
-ضحك الدكتور بسخرية : كاهن ماذا ؟هل تعتقد أننا مجانين من أنت وما هذا المكان ؟
-رد الرجل بهدوء أنا لا اكذب و إن صمت قليلا ستفهم أنا الكاهن الأعظم في الأسرة الأخيرة للفراعنة وتعرف تاريخهم ؟
رد أحمد : بالطبع أعرفهم جيدًا ومعرفتي بهم تجعلني أتيقن أنك لست فرعونًا وكاهنًا.
ضحك الرجل : هل حللت لغز التحنيط أو بناء الإهرامات ياعالم بتاريخ الفراعنة ؟
- أجاب : أنا ؟؟ فأكمل الكاهن طبعا لا نحن علمنا ما لاتعلموه أنتم إلى الأن نحن الصفوة سأحكي لك, الفراعنة تقدموا جدًا في العلم مما جعلهم مطمع للغزاة على مر العصور وكان يجب الحفاظ على هذا العلم من الأعداء فتم إنشاء المعبد المقدس بعيد عن أماكن الحروب ومؤَمن جدا ولا يعيش به إلا صفوة العلماء والكهنة هناك اخترعوا التحنيط وصممت الاهرامات ومقابر الملوك وعلم الفلك كان هذا المكان منارة العلوم وكان الحكام على مر الأسر وتعددهم يولون هذا المعبد الاهتمام ويحافظون على سرية مكانه وفشل الغزاة من الوصول إلينا مهما حاولوا حتي جاء هيروديت إلى مصر و أدخله الفرعون المعبد المقدس من باب التباهي بما فيه من علم وأراه الكهنة الاختراعات وكرات النار وللأسف خرج إلى كل العالم يحكي ما رأه ويقص العجائب وحدث ما كنا نخافه هجم الغزاة بلا انقطاع وزاد الطمع وضعفت الدولة كنا نعلم أن الخبر تسرب وكنا نعمل ليل ونهار لانتقالنا و إخفاء كل أثر لنا ولكن كانت المأساة أين سنختفي ؟
إلى أين سنذهب وأخيرا قدم لنا أفلاطون الحل ,
إنها «أطلانتس» تلك القارة الصغيرة وبالفعل قررنا أن ننتقل إليها و إغراقها بنابعد أن اخترعنا واقيًا من الماء وجاء اليوم الموعود كان العمال يعملون لإقامة المخارج وتأمين الطرق والمداخل والمخارج السرية لم يكن من المعقول أن نمشي في وسط النهار ولا أن نقطع بنا السبل وما إن تم كل شيء حتى أتينا إلى هنا وأغرقنا الأرض بنا ومن يومها توقف الزمن نحن نعمل دائما علي الجديد ولكننا لا نختلط بالعالم

الخارجي إلا في أضيق الحدود ,توقفت الكلمات في أفواهنا فقطع الرجل صمتنا وقال سأريكم ولكن أولاً من يريد البقاء سيبقى ومن يريد الرحيل ليرحل الأن؟
كلماته كأنها أنقذتني سألته سريعًا انستطيع الرجوع الأن ؟ قال : نعم شددت يدي الدكتور بسرعة (هيا لنرجع)و لكنه تجمد كتمثال لم يتحرك هززته برفق التفت إلي قائلًا : اذهب أنت أنا لن اعود .
-من الممكن أن نموت هنا هيا لنهرب .
- نظر إلي يا صديقي هذا فاق كل تخيلاتي أو تخيلات أي عالم هنا فوق التصور لا أستطيع ترك كل ذلك ببساطة لن اغادر
-قاطعنا الرجل قائلًا ماذا انتم مقررون؟
رد عني دكتور احمد وقال : سيرحل ياسين وأنا سأبقى وفعلا اصطحبني الرجل للخارج وكانت دموعي تنهمر متوسلة له أن يأتي ولكنه رفض وأدار وجهه عني وخرجت من حيث
أتيت وفعلا لحظات و اختفت الأبواب الثلاثة وكأن الوقت لم يمر و وجدت الغفر قد رجعوا ولم أتكلم ولكنهم فهموا من دموعي أن الدكتور قد هوت به الأرض ودفن تحتها.
وكانت هذه هي المرة الأخيرة التي أرى فيها الدكتور
-بعدد لحظة صمت ...قالت :
مستحيل , هذا لا يعقل شيء لا يُصدقه عقل .
-أقسّم لكِ بحياة أولادي أن هذا ما حدث
-والأن مهمتي الأخيرة
-ماهي؟
أن أسلمك هذا الدفتر الأصفر وخريطة رسمتها للموقع ومن الأن أنا حر أخيرًا ، أخذت منه الأشياء ودموعها تنهمر غير مصدقة أن أول خيط لطريق زوجها بين يديها بعد أربعون عاما ولكنه لا يؤدي لشئ احتضنت الأوراق وغادرت في هدوء.
-هل سامحتيني ؟
-نعم سامحتك قابلت زوجته أوصلتها للباب وخطت في طريقها لسيارتها وقبل

أن تركب فيها سمعت صراخ المرأة قائلة مات زوجي و انطلقت في طريقها هي وابنها تفكر
ماذا ستفعل هل تتجاهل الأمر و تمضي باقي حياتها أرمله كما كانت؟
أم تبحث عنه؟
ماذا ستقول للناس من أين ستبدأ مليون سؤال يدوربعقلها ماذا ستفعل؟ تمضي بها السيارة مسرعة تخترق الطريق يحاول ابنها من أنٍ لأخر أن يكتشف ما حدث؟أو أن يخرجها من صمتها بلا جدوى
رجعت إلى الفندق وجلست وحيدة تفكر و مرت الساعات ولم يقطع عليها خلوتها إلا دقات الباب دخل ابنها حاملا الطعام .
-أمي انتِ لم تأكلين منذ ـمس استحلفك بالله كلي أي شيء نظرت إليه حائرة أتقول له ما حدث ام تظل أسيرة سرها ولا تحمله عبء لا يتحمله وقد عانى منه صغيرًا.
- قطعت صمتها لا أستطيع أن ارفض لك طلبًا سنتناول الطعام سويًا أخذت بضع لقيمات وقد حزمت أمرها ألا تقول له شيء ومر اليوم ولم تستطع النوم وعندما أطلّ الصباح جاء لها ابنها ليري إن كانت قد عزمت أمرها للسفر للقاهرة
-ولكنها أخبرته أنها لن تسافر معه
-سألها لماذا؟
-يا ولدي أنا أعشق هذه البلاد لا أعلم متى سآتي مرة أخرى اتركني هنا عدة أيام وسوف ألحق بك
-سأبقى معك
-لا سافر أنت لعملك وزوجتك أنا لست طفلة أنا هنا أستجم فقط وبعد عناء سافر
ابنها وجلست هي تفكر كيف ستبدأ البحث ومن أين؟
اتصلت بـ فريد أحد أصدقاء زوجها المقربين و استمرت الصداقة بينهم وهو أيضا عالم أثار ويقوم بالاكتشافات إلى الأن ، قابلها بعد ساعة
-اريد أن أصارحك بسر و لكن اوعدني أن تصدقني وتساعدني
- أكيد

-لا أقسم أولا
-أنتِ تخيفيني ماذا حدث؟
-سأخبرك لكن اقسم أولًا
-حسنا سأقسم لكِ ولكن قولي لي ماذا حدث
- قصت له,ما قاله ياسين وبدا فريد غير مصدق ما حدث و ما تقول ولكنه استمع إليها.
- هذا فعلا صعب التصديق وماذا تنوين الأن ؟
- أريدك الأن أن تساعدني لاستكمال التنقيب.
ولكن ذلك الموقع مغلق من يوم الحادث ومصنف أنه موقع خطر
- أعلم ولذلك لن يكون عملنا سهلًا أرجوك ساعدني بأي وضع كان وبكت
- اهدئي سأجد لها حلا أمهلينى و قت للتفكير
-حسناً
-الأن سأتركِ و أذهب لكي اتصرف .
-سانتظرك و اغلقت بابها وهي تدعي وتتمنى أن يسير الأمر على ما يرام , مرت الليلة عليها طويلة مع شروق الشمس استيقظت على صوت الهاتف ، إنه فريد يبشرها بنجاحه في الحصول على الأوراق المطلوبة قائلًا: اسبقينى إلى الموقع .
-ارتدت ملابسها في دقائق و وجدته ينتظرها وقد جهز السيارات والخيام والمؤن كل شيء .
-ما كل هذا النشاط .
- أنا أساعدك لسببين الأول أنكم أصدقاء العمر وثانيًا إنْ صَدَق كلامِك سأدخل التاريخ من أوسع أبوابه أليس كذلك؟
-نعم يا صديق العمر .
انطلقا في طريقهم وهي تراجع الاتجاهات التي رسمها لهم ياسين وتتناقش مع فريد في كافة التفاصيل إلى أن وصلا اعتصر قلبها من الألم لحظة أن رأت الموقع تذكرت زوجها وكيف مر العمر بها هنا، بدأ كل شئ ، وهنا سوف ينتهي .
-لا تبكِ أرجوكِ أنتِ الأن أقرب مما كنتِ منذ أربعون عاما اليوم وقت العمل

وليس البكاء مسحت دموعها
-أنت محق لن ابكِ اليوم .
- وبالفعل بدأوا في العمل.
- سنحتاج إلى دعائم
- افعل ماتراة صحيحا
-سنعمل بالنهار وسنوقف البحث عند الأبواب لن يكون هناك أحد غيرنا حتى لا ينتشر الأمر ليس اليوم مثل البارحة الأن اغلب العمال متعلمين ونحن لا نريد أن يتجمع العالم حولنا
- فعلا عندك حق .
بدأوا الحفر و يومًا تلو الأخر ظهرت نفس الممرات القديمة نفس المعمار لم يتغير شيء وهي تترقب بلهفة ظهور الأبواب الثلاثة والوقت يقتلها من ثقله لا يهوُن عليها شيء إلا الأمل في أنها ستجدها حتمًا , وفجأة كأنه حلم ظهرت الأبواب الثلاثة بنفس الموقع الذي حدده ياسين في الأوراق جاء دكتور فريد مسرعًا إليها لينبهها بألا تثير الشكوك ويهنئها بما وصلوا إليه .
وجدها دامعة فقال لها : هانت صديقتي العزيزة .
• انتظري حتى ينصرف العمال وسنبدأ ليلًا أشارت له بالموافقة وجلست تنتظر هبوط الليل بفارغ الصبر وما أن أتى المغرب حتى أذنت للعمال بالانصراف وجلست هي وفريد لإلقاء التعويذة لفتح الباب و اختارت الباب الثالث ولكنه لم يفتح جربت مرات دون جدوى ،انهارت من البكاء.
- فريد : لا تبكِ سأجرب أنا
-لن تستطيعي التركيز كذلك ، أخذ منها الأوراق وجرب عشرات المرات ولم يفلح الأمر كذلك .
-نظرت إليه قائلة أوصلنا لطريق مسدود ؟ أكان ياسين يكذب علي ماذا حدث ما الخطأ ؟
-أعاد فريد القراءة متسائلا : ياسين أخبركِ أنهم فتحوا أولاً بابين وفُتِحَ الثالث وحده أليس كذلك ؟

- نعم ؟
-إذًا سنحاول فتح الأبواب بنفس الطريقة ونفس الترتيب ولكن سنكون أكثر حظراً حتى نتجنب النار والانهيار الأرضيّ و فعلا بدأ فريد بفتح الباب الأول و فعلا هجمت النار ثم فتح الثاني وهالت الأرض كأنها دوامة فعلا في البحر و استمرا في القراءة و فُتح الباب الثالث نعم فُتح فعلا وظهر الرجل ارتعبت أولا ثم تمالكت أعصابها
-وقالت له بلهجة أمرة : أين زوجي أين احمد؟
-سحبهم الرجل إلى الداخل بدون كلمات و كاد قلب فريد أن يتوقف من شدة الخوف والذهول في أنٍ واحد , دخلوا سريعًا إلى فناء كبير نظرت إلى السماء فوجدتها نفسها فعلا داخل حوض من الأسماك تمامًا كما وصفه ياسين ضحكت قائلة : لقد وصلنا إلى المكان الصحيح ثم
-نظرت إلى الكاهن قائلة : أين زوجي أيها الكاهن؟
- لحظات سيكون معكِ ، لمس شاشة أعلى طاولة
-قائلًا أحمد عندك ضيوف ثم نظر إليها .
-أنتِ امرأة عنيدة جدا لا أصدق أنكِ وصلتي إلى هنا سنوات و أحمد يحكي لي عنكِ ولكن لم اصدق انكِ عنيدة لهذه الدرجة؟
-انا زوجة تحب زوجها فقط و سأبحث عنه حتى موتي أين أحمد؟
- كان دكتور فريد منبهر بما يراه حوله ينظر ولا يتكلم وفجاءه ظهر نعم
- إنه أحمد ولكنه مازال شابًا مثل يوم اختفائه نظرت إليه دقيقة و نظر إليها قالت له : أنت حقا أحمد ؟ ألا تعرفني أنا زوجتك صرخ أحمد صباح حبيبتي وضمها إلى صدره و احتضنها وحملها وهي غير مصدقة أنها وجدته أخيرا انزلها أحمد ونظرت إليه
-أنت مازلت شابًا .
-نعم ياحبيبتي هنا لا يمر الوقت هنا الزمن يتوقف لا يوجد كبر في السن
-أين نحن بالضبط ؟
-إنها حكاية طويلة جدا تعالي معي يجب أن تري ذلك فنحن هنا نصنع التقدم

والتاريخ تعالي معي وأخذها من يدها و انطلق بها فيما يشبه الأعجوبة شاشات عملاقة بكل مكان و أشياء تشبه الربوت الألي في كل مكان يقوموا بأعمال نظرت إليهم صباح في تعجب و مضت في طريقها مع أحمد إلى غرفة مليئة بالشاشات الملونة الصغيرة التي تشكل شاشة عملاقة تعرض معلومات مشفرة على هيئة أرقام صغيرة .

-أحمد : انظري إلى ذلك إنه أفضل أعمالي إلى الأن ، نظرت صباح ولم تفهم شيء من الشاشة فنظرت إليه متعجبة أهذا ؟

-هذا كوكب الأرض وكل شاشة ترمز لمجموعة من المعادن والبراكين كل شيء ثائر على كوكب الأرض وكل شيء له لونه و قيمته ‘

-ولماذا تصنع هذه الخريطة ؟

- إن كل معدن له استجابة خاصة مع الطاقة و أنا أدرس ذلك كيف يتجاوب المعدن مع الطاقة النووية مثلا على سبيل المثال .

هنا يُصنع التاريخ .

سؤال يلح علي : هل أتيت هنا بملىء إرادتك كما قال ياسين ؟

-نعم ولكن لماذا حكى لكِ ياسين ، هو تعهد أنه لن يقول شيء

- أخبرنى قبل أن يموت ليريح ضميره.

نظر إلى الأرض وحزن حزنًا شديدًا أمات ياسين؟

-نعم منذ إسبوع تقريباً و الآن جاوبني لماذا أتيت هنا وتركتنا خلفك بدون كلمة واحدة أو وداع لماذا تركتني أبحث عنكِ أربعون عاما ؟

-لم أكن أعتقد أنكِ ستستمرين بالبحث عني عرفت أنكِ سوف تحزني لموتي عندما يقولون لكِ أنني مت في الانهيار الارضيّ و لكن ستستمر بك الحياة لم أكن أعلم أنكِ ستنتظرين كل هذه السنوات لأجلي ؟

-نظرت إليه غاضبة أهذه إجابتك بعد كل هذه السنوات ؟

- صِدقًا أنا لم

أعتقد أنني سأجيب عن هذا السؤال يومًا من الأيام ؟ حتى وجودك هنا بالنسبة لي حُلم لا أصدقة .

أرجوكي لا تحزني أقسم لكِ أنه كان اختيارًا صعبًا ولكن أنا كعالم لا أصدق ما أراه سنوات و أنا أدرس تاريخ الفراعنة على الأوراق وفجأة أراهم أمامي ألا تتذكرين كم كنت أقول لكِ كم أتمنى أن أرجع بالزمن و أعيش في زمن الفراعنة وكم هم عظماء وفجأة أجد أحلامي تتحقق أمامي لو كنتِ مكاني ماذا كنتِ ستفعلين ؟

-لن يفيد العتاب اليوم لقد حدث ما حدث ولكن عندي فضول ماذا تفعلون هنا ؟

- هنا نصنع التاريخ هنا الماضي والحاضر

وما معنى ذلك ؟

أتتذكرين يوم وجدنا رسومًا علي جدران المعبد تشبه الطائرات الحربية الحديثه وكم كنا منبهرين بذلك؟

نعم ولكننا لم نر رسومًا أخرى شبيهة بتلك الرسوم ,

كان خطأ غير مقصود

أتقصد أن ذلك المكان كان أحد تلك المقار السرية التي هرب منها الفراعنة لهنا ؟

_يبدو أن ياسين حكى لك كل شئ؟

_حكى لي ما سمعه وما يعرفه

_ وانأ سأكمل لك .

عندما أتيت إلى هنا انبهرت ومازلت انبهر كل يوم أستيقظ فيه صباحًا لا أصدق أنني هنا و أنني جزء منه , فالمكان هنا يجمع صفوة العلماء على مر العصور من عصر الفراعنة ليومنا هذا في كافة التخصصات ، شغلهم الشاغل تطوير العلم فقط لا غير وتصليح بعض أخطاء الماضي ومحاوله تصليح أخطاء الأخرين ممن يستخدمون العلم بشكل خاطئ .

وكيف ذلك ؟

ألا ترين أن الإنسان دمر الطبيعة حوله بشتى الطرق لا يجاهد لزرع شجرة ولكنه يجاهد لإقامة حرب و صنع سلاح.

ونحن هنا نصلح ما يفسده الإنسان أو نحاول على الأقل ذلك ، نظرت صباح حولها حائرة ماذا تقول فكل ما حولها مبهر و لا تفهم منه شيء,

opeikan.com

جلس على الأرض و أمسك بيدها .
و قال : إن من يملك هذا المكان يملك العالم بأسره لذلك نحن مختبئون هنا ولا نستطيع الظهور فهذا قدرنا .
إلى متى ؟ العالم يتطور وما كان أمس مستحيلًا أصبح اليوم ممكناً أليس كذلك؟
نحن نعلم ذلك ولكن تطورنا فاق كل تطور على الأرض ، ولكن أنا معكِ أن الاختفاء أصبح صعبًا جدا مع كل الأقمار الصناعية و التطور البشري الحالي , صنعنا عالمًا بديلًا لنهرب إليه وقت الحاجة.
_ أين ؟
_ في الفضاء أتعلمين أنني قد سافرت إلى الفضاء عدة مرات ولنا هناك قاعدة و إناس يعيشون هناك من سنوات طويلة؟
_ الفضاء ! وكيف تسافرون و أين تعيشون إن كواكب المجموعة الشمسية معروفة ولا يوجد بينها مايصلح للحياة ؟
ضحك أحمد جدا
_ هذا علمكم أنتم أما نحن قد ابتعدنا عن هذه المجموعة فهناك ملايين الشموس والأقمار والكواكب وقد اخترنا واحدًا يتشابه مع كوكب الأرض كثيرًا تعالي معي سأريكِ .
ذهبت معه لغرفه أخرى وفتح الباب وكان بالغرفة شاشة واحدة تعمل والباقي مغلق .
انظري هذا كوكبنا البديل أترين الناس هناك؟
نعم
_ إنهم يعملون مثلنا لابتكار أشياء كثيرة و تجهيز المكان في حال قررنا المغادرة
_ جيد أنك لم تغادر قبل قدومي إلى هنا.
_ حبيبتي اليوم من أسعد أيام حياتي وكم أنا سعيد لأنكِ أتيت فقد حلمت أن أراكِ ولو مرة .
_ سافرت الفضاء ولم تستطع المجيء لرؤيتي؟
أقسم لكِ لو كنت املك ذلك لأتيت ، حبيبتي هذا المكان هائل وضخم والحفاظ

عليه شيء أقسمنا عليه لا نستطيع أن نخنث بذلك العهد,
حبيبتي ابقي معي هنا نكمل عمرنا سويًا ونسافر الفضاء ونعيش هناك أرجوك؟
_ كيف تسافرون للفضاء ولا يراكم أحد؟
_ حدثت بعض المشاهدات ولكننا نشرنا تعتيم عام وأصبح العالم الأن عندما يرى أحد مركباتنا يعتقد أننا أطباق طائرة من كوكب أخر «زوار المريخ» وضحك.
_ أأنتم من يركب أطباق طائرة.
_ نعم وليس من الطبيعي أن يرانا أحد ولكن أحيانا تحدث مشاهدات نتيجة غلطات غير مقصودة ولكن نحن نجيد تغطية أثرنا جيدا ، حبيبتي سأقولها لك ثانيًا نحن نملك تقدمًا لن تعرفه البشرية قبل مئات السنين
,دخل فريد عليهم مستأذنًا ومعه الكاهن استقبله أحمد مُرّحِباً صديقي أسف نسيت أن أرحب بك .
_ لا عليك .
سأله أحمد ما رأيك بالمكان؟رد فريد : إنه أروع ما رأيت بعمري لماذا يا صديقي لم ترسل في طلبي؟
نظر أحمد للأرض خجلًا هنا تنسي نفسك سامحني.
دعاهم الكاهن لتناول الطعام والراحة بعد رحلتهم الشاقة.
جذب الكاهن أحمد من يده قائلًا : أنت تعلم حساسية موقفنا أرجوك اعرف منهم إن كانوا سيبقون أو سيرحلون الخيار لهم لا تنس ذلك نحن لا نجبر أحدًا على البقاء.
أحمد : سأفعل و إن كنت اتمنى بقاءها و لكن أنا معك لا نستطيع إجبار أحد .
الكاهن صديقي العزيز أنا اعلم شعورك ولكن تلك قوانيننا التي استمرينا بها مئات السنين تناولوا الطعام ، ودخل أحمد وصباح إلى غرفته
_ وقال فريد : أنا سأبقى معك أيها الكاهن لتريني المزيد.
دخل أحمد وأغلق الباب و احتضن صباح .
ابقي معي أرجوكِ لا ترحلين هنا كل شيء متوفر وأنا أعشقك حتى اليوم، لم يتغير شعوري .

انظر بالمرأه أنت شاب و أنا عجوز أنا امرأة ترك الزمن علاماته على وجهها المتجعد .

_ لايهمني أنا أحبك كما أنتِ وهنا سنجد حل سترجعين شابة أنا متأكد من ذلك.

_ احمد أنت هنا وجدت السعادة أما أنا فأفضل أن أظل عجوزًا و أن أموت بين احبابي ابننا وأحفادي على أن أتركهم هكذا في حيرة عشتها أنا أربعون عاما لا أريد لهم هذا العذاب .

فى الصباح استيقظت مبكراً و نظرت إليه باكية وخرجت مسرعة

قابلت الكاهن قال لها : من عينيك أفهم أنكِ قررتِ الرحيل أليس كذلك؟

_ نعم

جاء فريد مسرعًا قائلًا : صباح سأبقى هنا فلا يوجد من يبحث عني منذ وفاة زوجتي .

_ كما تريد ، أتمني لك السعادة .

_ أشكرك لأنكِ أتيتِ بي إلى هنا يا صديقتي و إن كنت أتمنى بقاءك .

_ لي أحبة لا أستطيع تركهم هيا أيها الكاهن ، مشيا سويًا إلى الباب والتفتا على صوت احمد يناديها ارجوك ابقي معي واحتضنها بقوه قالت بحسم لا أستطيع اخبرتك بأسبابي وسيطر البكاء على الجميع خرجت صباح بخطواتٍ مسرعة إلى الخارج ودموعها تنهمر ولم تلتفت خلفها ابداً .

obeikan.com